# وقفة مع قوله سبحانه: (إِنَّهُم أَلفَوا آباءَهُم ضالّينَ۝فَهُم عَلى آثارِهِم يُهرَعونَ)

كتبه غريب الديار بتاريخ الجمعة ١٤ رجب ١٤٤٢

تأمل معي قول ربنا عز وجل:

﴿ إِنَّهُم أَلفَوا آباءَهُم ضالّينَ۝فَهُم عَلى آثارِهِم يُهرَعونَ ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠]

تخيل المشهد حيث الولد يجري بسرعة على آثار والده ...

إنه مسرع لدرجة أنه لا يجد الوقت حتى يلاحظ تفاصيل الطريق الذي يسير عليه ...

منكبا على وجهه, لا يرى شيئا سوى هذه الطريق , طريق الآباء, التي ورثها ويمجدها وهي فوق النقد.

وكيف له نقدها أصلا وهو لا يرى سواها, كما أنه مسرع الخطوات لا يتوقف ليلتقط أنفاسه, أو يتبين معالم الطريق الذي يسير عليه.

كل ما في الطريق هو الحق الذي لا شك فيه بالنسبة له, ولو كان غير عقلاني, فهو أصلا لا يفكر, ولا يجد الوقت للتفكير.

لو كان في الطريق أن ثلاثة تساوي واحد, فهي فعلا كذلك بالنسبة له, وهذا أمر خارج دائرة النقاش.

ولو كان في الطريق أن أربعة تساوي واحد, فهي فعلا كذلك, ومن يقول غير ذلك خارجي نظامي خبيث.

ولو كان في الطريق أن الرب الأعلى هو مخلوق لا ينفع ولا يضر, ففعلا هو الرب الأعلى بالنسبة له, ولو كان لا يخلق شيئا ولا يضر, فما في الطريق غير قابل للنقاش.

وهكذا كل ما في الطريق صحيحٌ مسَلمٌ به, مهما كان سخيفا, وباطلا ظاهر البطلان, فليس هذا السائر بباحث عن صواب الطريق الذي يسير عليه وليس عنده الوقت لذلك, فهو مسرع كما قال سبحانه:

﴿ إِنَّهُم أَلفَوا آباءَهُم ضالّينَ۝فَهُم عَلى آثارِهِم يُهرَعونَ ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠]

إن الله عز وجل قبل أن يحدثنا عن هؤلاء حدثنا عن مشهد من مشاهد يوم القيامة سيمرون عليه وهو:

﴿ أَذلِكَ خَيرٌ نُزُلًا أَم شَجَرَةُ الزَّقّومِ۝إِنّا جَعَلناها فِتنَةً لِلظّالِمينَ۝إِنَّها شَجَرَةٌ تَخرُجُ في أَصلِ الجَحيمِ۝طَلعُها كَأَنَّهُ رُءوسُ الشَّياطينِ۝فَإِنَّهُم لَآكِلونَ مِنها فَمالِئونَ مِنهَا البُطونَ۝ثُمَّ إِنَّ لَهُم عَلَيها لَشَوبًا مِن حَميمٍ۝ثُمَّ إِنَّ مَرجِعَهُم لَإِلَى الجَحيمِ۝إِنَّهُم أَلفَوا آباءَهُم ضالّينَ۝فَهُم عَلى آثارِهِم يُهرَعونَ ﴾ [الصافات: ٦٢-٧٠]



إن الجزاء من جنس العمل, ولما كانوا مسرعين على آثار آبائهم الضالين, يتبنون كل ما وقع فيه آباؤهم من الضلالات, فإنهم سوف يملأون بطونهم من شجرة الزقوم ويشربون عليها من الحميم بطريقة مسرعة جدا وصفها ربنا في قوله:

﴿ فَشارِبونَ عَلَيهِ مِنَ الحَميمِ۝فَشارِبونَ شُربَ الهيمِ ﴾ [الواقعة: ٥٤-٥٥]

والهيم هي الإبل شديدة العطش التي لا ترتوي.

فكما كان يتقبل كل ضلالة وجد عليها آباءه بسرعة، فكذلك سوف يشرب الحميم بسرعة أيضا كما تشرب الإبل الشديدة العطش، والعياذ بالله.

إن الله سبحانه وتعالى حين أنزل إلينا هذه الآيات التي تصف حال المقلد الأعمى لتراث قومه، أنزلها لنتأملها ونراجع أنفسنا، فقد تكون تتحدث عنا ونحن لا نشعر.

لذلك علينا أن نسأل أنفسنا، هل نحن نتبع التراث اتباع الأعمى دون أن نشعر، فتكون هذه الآية منطبقة علينا أم أننا غير ذلك؟

غالبا سوف نجيب بالنفي، ولكن حتى يكون الجواب صحيحا علينا أن نسأل أنفسنا هل نستقبل كل التراث بالتسليم والتقديس دون تفكير؟

إذا كان الجواب نعم فنحن من تتحدث عنهم الآية، وعلينا أن نبدأ التغيير وفحص ما وجدنا عليه آباءنا وذلك بعرضه على القرآن والسنة.

هذا العرض يجب أن يكون وفقا للقرآن والسنة فعلا، وليس وفقا لما قاله تراثنا عن القرآن والسنة.

مثلا نجد في التراث أن بعض القرآن والسنة ظني الدلالة أو الثبوت، هنا علينا أن نفحص هذه المعلومة وذلك بعرضها على القرآن والسنة ومعرفة ما قاله ربنا عن وحيه.

وهكذا يجب أن يكون الفيصل والميزان هو القرآن والسنة، وبهذا نخرج من الذين ينتظرهم ذلك المصير المرعب حيث يتجرعون الحميم والعياذ بالله.

ونبدأ في بناء إيمان صحيح يقوم على البينة فلو كان آباؤنا مؤمنون صالحون نكون قد اتبعناهم بإيمان وليس بتقليد، فنكون ممن قال الله فيهم:

﴿ وَالَّذينَ آمَنوا وَاتَّبَعَتهُم ذُرِّيَّتُهُم بِإيمانٍ أَلحَقنا بِهِم ذُرِّيَّتَهُم وَما أَلَتناهُم مِن عَمَلِهِم مِن شَيءٍ كُلُّ امرِئٍ بِما كَسَبَ رَهينٌ ﴾[الطور: ٢١]

وإن كان آباؤنا ضالون نكون قد نجونا من اتباعهم، ومن هذا المصير المرعب الذي كان ينتظرنا لو بقينا على ما كانوا عليه.